اليغوريا العنوان في رواية :"الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار_ نموذجا_

د. بكري أحمد شكيب
كلية الآداب واللغات / قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة د.مولاي الطاهر بسعيدة

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة منضويات عنوان رواية :" الشمعة والدهاليز " للطاهر وطار، واجتثاث الدلالات الرمزية – **المعبرة عنها بالأليغوريا**– في عنوان الرواية وحصر معانيها المختلفة .كما يهدف هذا البحث بإبراز أهمية دراسة العنوان ؛ الذي يعد الركيزة الأولى لفهم دلالات النص ومعرفة الأطر المفاهيمية التي تحكمه.

الكلمات المفتاحية :
الأليغوريا – العنوان – الدلالة – الرمز – المأساة – الإيديولوجية .

1. تعريف الأليغوريا

يعود أصل هذه اللفظة "الأليغوريا"، إلى الكلمة اليونانيّة <<allégoreïn>>؛ وتعني أنّ الكلام عن شيء هو كلام عن شيء آخر. وقد عدّ فونتانيي الأليغوريا؛ من المجازات التي تكون بعبارة متّصلة <<Tropes en plusieurs mots>> وأدرجها ضمن صور التعبير بالتخييل[1]. ويعرّف (هنري موريي)" الأليغوريا قائلا: " **إنّ الأليغوريا حكاية ذات طابع رمزيّ أو تلميحيّ وهي باعتبارها سردا تقوم على**

---

[1]شوقي العنيزي :" شعرية الأليغوريا " (أ ولعبة الوجه والقفا في الشعر العربي الحديث). www.saadiyousif.com،

تسلسل أعمال وتعرض شخصيّات (كائنات بشريّة أو حيوانيّة أو تجريدات مشخّصة) تكون لصفاتها وأزيائها ولأعمالها وحركاتها قيمة العلامات، وتتحرّك هذه الشخصيات في مكان وزمان لهما بدورهما طابع رمزيّ ... وتضمّ الأليغوريا دائما مظهرين: مظهرا مباشرا حرفيّا ومظهرا ثانيا يتمثل في الدلالة الأخلاقيّة أو النفسيّة أو الدينيّة"[1].وإن صلة الأليغوريا بالسرد وثيقة ؛ فالأليغوريا: "**لا تكون بلفظة مفردة وإنّما تقوم ... على إحياء عالم معيّن مؤلّف من عدّة عناصر متداخلة**"[2] .أو هي كما يعرفها (ميشال أكيان) : "**صورة تنجم في سياق سرديّ ذي بعد رمزيّ**"[3].

إن النص السردي الذي يحتويه العنوان في جانبه الأليغوري، يدخل فيما يسميه (هنري موريي) "**الأليغوريا المقصودة**" allégorie>> volontair>> ؛وهي تلك التي يقصدها الكاتب عن وعي منه بهدف تجنّب الوقوع في الخطاب المباشر المفضوح وفيها يكون الانتقال من المعنى الحقيقي أو الظاهر إلى المعنى الرمزيّ أو الخفيّ لتستقيم دلالة النص[14].

2.أليغوريا العنوان لرواية "الشمعة والدهاليز"

إن العنوان من الجانب التركيبي السطحي، لمفهومي " الشمعة" و"الدهاليز" يتكون من كلمتين؛ "الشمعة" مبتدأ مرفوع و"الدهاليز" معطوف على المبتدأ – لأنه مسبوق بحرف العطف الواو– وهو مرفوع مثله.وإن الكلمة الأولى ؛ أي الشمعة في بعدها المعجمي، هي وسيلة مصنوعة من الشمع تستخدم للإنارة، فهي وسيلة للإنارة ومبعث لبث الضوء والنور في المكان المظلم.أما الدهليز فكل القواميس والمعاجم ك : – المحيط ، محيط المحيط، الوسيط، القاموس المحيط – تجمع على أنه مكان الضوء فيه قليل، وهو المدخل الممتد بين الباب ووسط الدار؛فالدهليز إذا رواق مظلم، والدهاليز أروقة مظلمة.

---

1. شوقي العنيزي، المرجع السابق، www.saadiyousif.com .

2 المرجع نفسه.

3. المرجع نفسه .

4.المرجع نفسه.

إذا ولجنا إلى دهاليز الكلمتين، بهدف تسليط الضوء على ما تخيفه من دلالات، فسنجد أن الشمعة ترمز إلى:(**النور،، العلم، الأمل، السلم، الخير، الحياة والحقيقة**)، وكل ما يدخل في فلكها – ويمكننا أن نسميها بالرمز الملهاتي*[1]– .وإن الدهليز يرمز إلى: (**الظلام، الجهل، الخوف، الموت، الشر، القلق ، و الوهم**) وكل ما يدخل في عالمها – وسنسميها الرمز المأساتي– .

و الملاحظ في عنوان الرواية ؛أن الشمعة جاء لفظها مفردا، وفي المقابل جاء لفظ الدهليز جمعا، فهو ليس دهليز بل دهاليز، وليس سرداب إنما سراديب، وهي كلها تصب في فضاء لا أريحية فيه، فهو كله شؤم، وهو في العنوان مهيمن ومستحوذ بدلالاته على فضاء الرمز التفاؤلي، يقول الراوي :"**إنها تفاصيل التفاصيل ... بل سراديب تنفتح أمامك فتروح تنزل مدفوعا بقوة ما لا تدري ما هيتها، وكلما اقتحمت سردابا، وجدت نفسك في دهليز آخر، ينفتح على سراديب تمتصك فتنزل وتنزل لا إلى مكان... بل إلى دهليز وسراديب ممتصة أخرى** "[21].

---

* ليس المقصود بالملهاة، كل ما ه وضحك وسخرية، إنما الملهاة في معناها العام ما يبعث على التفاؤل والأريحية والانسجام.

[1] الطاهر وطار :" الشمعة والدهاليز"،موفم للنشر، الجزائر، 2004، ص 11.

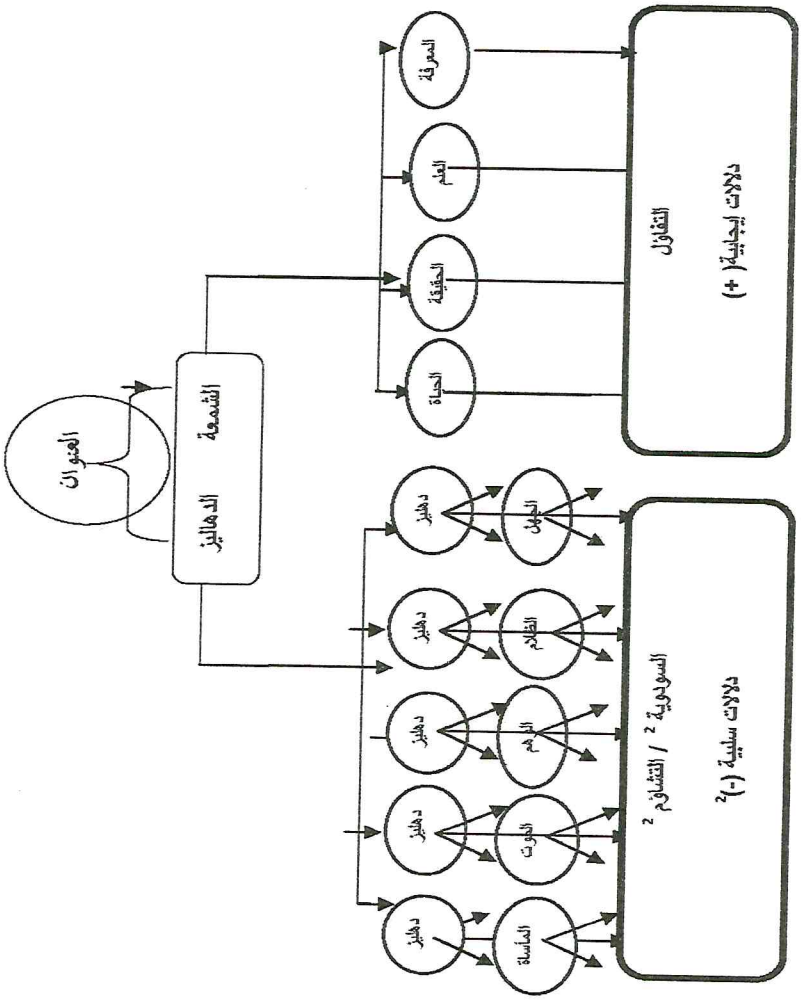

يتضح إذن أن العنوان يضم في ثناياه رمزين متضادين، ألا وهما الشمعة <<**رمز التفاؤل المنير**>> والدهاليز <<**رمز التشاؤم والمأساة والتراجيديا المغرورقة في الكآبة والعتامة**>>.

إن دلالات التناقض والتصارع والشد والربط بين رمزي العنوان، ملموسة في مقدمة الرواية؛ إذ يحاول الكاتب أن يفهم

ملابسات دخول الجزائر في نفق ودهليز الأزمة الجزائرية، فجر انتخابات 92.

ويقر الكاتب أنه ليس بمقدوره أن يشرح مجريات الجزائر وما يحدث فيها، لأنه مجرد فرد فاعل يؤثر ويتأثر بتلك المجريات والأحداث التي تتوالى على الجزائر والذي لا يمكنه فهمها أو أن يفهم كل مسبباتها، فهو إن اهتدى إلى حدث ما وعرف مراميه ومسعاه وحيثياته، فحتما ستغيب عنه أشياء وأحداث يكتنفها غشاء الشك والخوف والقلق والتكتم .

يحاول الكاتب فهم لماذا وقعت الجزائر في النكبة الظلماء، وكيف وقعت فيها، ومن المتسببين في ذلك، ومن المستفيد، وإلى أين سيؤول مصير الجزائر؟ يقول الراوي : "**وقائع الشمعة والدهاليز، الروائية تجري قبل انتخابات 92 التي خلقت ظروفا أخرى لا تعني الرواية في هدفها الذي هو التعرف على أسباب الأزمة وليس على وقائعها، و إن كنت وظفت بعضها.ها أنني لا أستطيع لحاق ما يجري في الجزائر،لا لشيء آخر، إلا لأنني جزء لا يتجزأ من هذا التاريخ، أؤثر وأتأثر به، وأبذل كل عمري محاولا فهمه.لعل هذا هو المهم**"[1].

فالطاهر وطار في مقدمته يهيئ القارئ لأن يتحمل معه عبأ كشف بعض متاهات ودهاليز أحداث الجزائر ؛ لأن القارئ المقصود بهذه المقدمة والرواية هو ذلك الذي عاش هذه المحنة، فهو يريد من القراء المقصودين أن يتحدّوا الدهاليز التي تعترض مسعاهم لكشف المستور وفهم ما جرى للجزائر، فالكاتب يمكنه إشعال شمعة واحدة لإضاءة الطريق وخوض غمار دهليز واحد ولكنه لا يمكنه بشمعة واحدة أن يخوض الدهاليز كلها، ولا يمكن لشمعة واحدة أن تضيء كل الدهاليز المتشعبة فهي متروكة للقراء المعنيين لفهم (**ماذا حدث ولماذا حدث وكيف حدث**)، فكل قارئ مدعو لإشعال شمعة واحدة والولوج في دهليز واحد لفهم الحقيقة، فبجمع شموع القراء وإضاءتهم للدهاليز يمكن فهم الحقيقة والإجابة عن الأسئلة يقول الطاهر وطار :" **إذا كان**

هناك تاريخ حقيقي يمكن أن أصرح به،فهو هذا الذي سيكتشفه القارئ الكريم" [12].

3.أليغوريا المأساة في عنوان رواية " الشمعة والدهاليز"

لقد شعّب الروائي المضمون المأساوي في الرواية، وكثّف فيه على كثير من صعيد، ولعل المضمون المأساوي ينكشف مستوره، بداية من عتبة الرواية ؛ أي العنوان فهو يتستر على مدلول مأساوي لا تتضح ملامحه إلا بتسليط الضوء على كواليس العنوان الدلالية، فلقد رأينا في دراستنا للعنوان ؛ أن لفظة الشمعة ذات الدلالة الموجبة جاءت مفردة في مقابل لفظة الدهليز الدال على السلب جاء جمعا، فهذا الأمر يعطينا انطباعا أن رمزية الدهليز المعتمة غلبت رمزية الشمعة، والراوي يؤكد هذا التكثير والتكثيف في لفظة الدهليز، ابتداءً من العنوان الفرعي لروايته المعنونة ب" **دهليز الدهاليز**" يقول الراوي في شأنها :"**إنها تفاصيل التفاصيل ...بل سراديب تنفتح أمامك فبروح تنزل مدفوعا بقوة ما لا تدري ماهيتها، وكلما اقتحمت سردابا، وجدت نفسك في دهليز آخر، ينفتح على سراديب تمتصك فتنزل وتنزل لا إلى مكان ...بل إلى دهليز وسراديب ممتصة أخرى** ".[21]

ومما يزيد من كآبة وقتامة الدلالة العامة للعنوان الرامز إلى التراجيديا ؛ هي الشمعة نفسها فهي لا تحيل دوما إلى القوة والنضابة والإنارة والنور، فهي قد تحيل إلى الضعف والمحدودية وإلى المأساة أيضا لأن عمرها قصير ومصيرها الكئيب أن تُحرق وتُطفئ نفسها ؛ ونورها وسط لجج الظلام والدهاليز المحيطة بها لا يساوي شيئا، وهي بعد الإنارة ستنطفئ وتزيد الظلام والعتمة قتامة ؛ فالرمز المأساوي السودوي لعنوان الرواية، شامل ومكثف وغالب على دال الشمعة :

---

1. الطاهر وطار، المصدر السابق، ص 08.

[2]المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[1]. الطاهر وطار، المصدر السابق، ص 11.

ويتضح مقام ما قلناه، في نهاية الرواية؛ إذ يتعرض الشاعر للمحاكمة وللاغتيال والتصفية من قبل أشخاص ملثمين يلفهم الغموض والإبهام، فكل ملثم يمثل جهة أو تيارا أو موقفا.

فالملثم الأول حكم عليه بالإعدام برصاصة في الصدر وطعنة في البطن بتهمة معاداته للنظام الجمهوري الديمقراطي.و الملثم الثاني حكم عليه برصاصة في الرأس وطعنة في القلب، بتهمة ممارسة السحر والشعوذة.

والملثم الثالث،حكم عليه بالموت ذبحا، بتهمة النفاق والزندقة والملثم الرابع حكم عليه بالموت بتهمة الزندقة وحكم الملثم الخامس عليه بالإعدام بعشر رصاصات في الرأس وخمس في الصدر، بتهمة معاداته لفرنسا والجزائر والإسلام والعروبة والملثم السادس قدم إدانات فقط ولم يحكم عليه أما الملثم السابع، لم ينطق ولم يقدم أي شيء.[11]ونفذ الملثمون حكمهم وقتلوا الشاعر في جوف الليل المظلم وعم الصمت الأرجاء.

---

[1] ينظر، الطاهر وطار، المصدر السابق، من ص 193 إلى ص 205

إن هذه الشخصيات الغامضة التي تضافرت جهودها لتصفية الشاعر، ماهي في الحقيقة إلا رمزا للظلمة والمأساة التي قامت باغتيال وإطفاء ووأد نور الشمعة ؛ فالشاعر يرمز للشمعة وللأمل، فهو كان دوما يبحث عن الحقيقة وكان يريد أن ينير طريقه وكل من يتصل به يمسه نصيب من بحثه الدأوب عليها ، ولكن أشباح الظلام وسكان الدهاليز أبت أن يسلط عليها الضوء أو أن يسلط الضوء على دهاليزها وسراديبها الموحشة، وارتأت أن تطفئ هذا النور وأفله بقتل الشاعر؛ فالشخوص الملثمة قاتلة الشاعر مغتالة الأمل مطفأة الشمعة، هي رمز الظلام والدهاليز والمأساة.

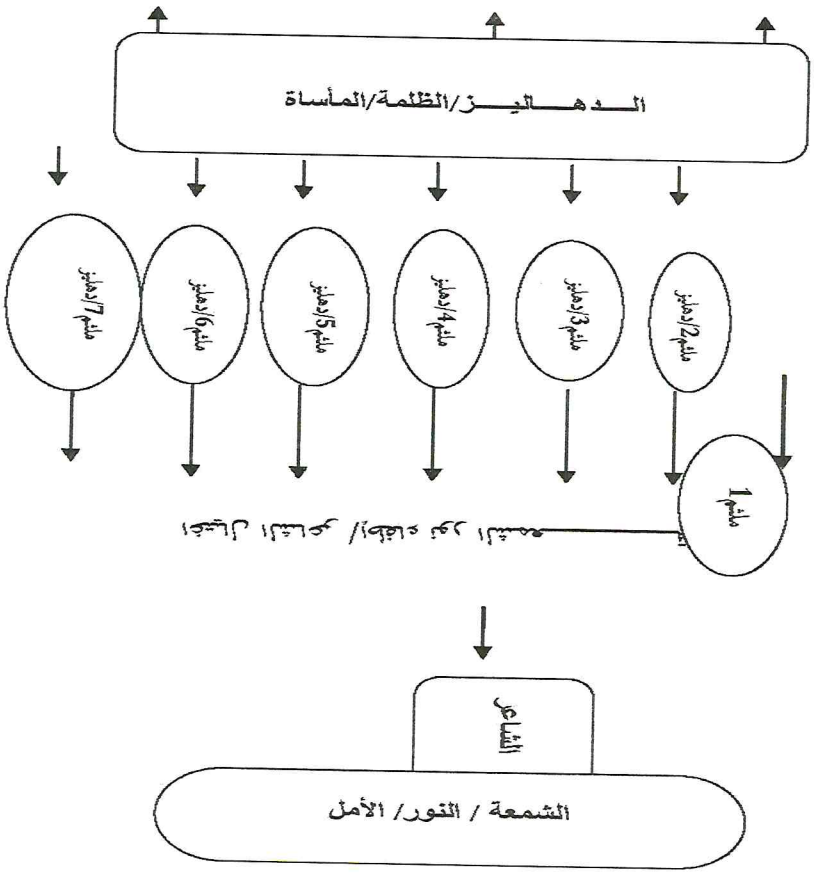

5. العنوان والأيديولوجيا[1]

إن بصمات الإيديولوجية المبطنة في عنوان الرواية ونصها جلية ؛ وهذا انطلاقا من أليغوريا التراجيديا والمأساة التي عم سلطانها العنوان، التي تتوافق وتتلاءم مع منابث المؤلف الإيديولوجية، المتمثلة في الاشتراكية عموما و" **الواقعية النقدية**" خصوصا ؛ وهذه الأخيرة تقوم على رصد الجوانب السلبية في المجتمع، وهي تركز على الجوانب الشريرة في الإنسان، وعلى جوانب القبح في المجتمع، وهي تتسم بالتشاؤم واليأس.[12]

فأليغوريا الشمعة ترمز إلى الاشتراكية والحقيقة، وأليغوريا الدهاليز ترمز إلى السلطة والرأسمالية والتكفيريين، أما البعد التراجيدي الذي أحكم الخناق على عنوان الرواية، يتطابق مع " **الواقعية النقدية**" ؛ التي تتسم بانعدام الثقة في الإنسان والتشاؤم واليأس منه ومن المجتمع. فالعنوان جاء مكافئا وتبعا ً لإيديولوجية الكاتب اليائسة والناقدة والمضمنة في نص الرواية.

الخاتمة :

نخلص في نهاية البحث الموسوم ب:" أليغوريا العنوان في رواية :"الشمعة والدهاليز". للطاهر وطار _ نموذجا؛ أن فهم دلالات العنوان مهم جدا لفهم السياق العام للنص، فلقد وجدنا عند تحليل دلالات عنوان رواية " **الشمعة والدهاليز** "، أن العنوان يكتنفه ويعمّه (**دال التشاؤم والتراجيديا**) وهذا ما اتضح في نهاية الرواية التي انتهت نهاية **تراجيدية** بموت الشاعر قتيل الملثمين، وكذلك المنظور الفكري أو الإيديولوجي للكاتب عزّز إستراتيجية العنوان ؛ ففكر الكاتب في الرواية ارتهن إلى :"**الواقعية النقدية** " ؛ التي تركز على الجوانب الشريرة في الإنسان وعلى جوانب القبح في المجتمع، التي تتسم بالتشاؤم واليأس .

---

[1] ينظر، فتيحة حسيني،التناص في رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار،قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة– مذكرة ماجستير، السنة الجامعية 2001–2002، ص 57.

[2] ينظر، حلمي محمد القاعود، النقد الأدبي الحديث(بدايته وتطوره)، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2006، ص ص208.209.

إن العلاقة بين العنوان والنص الروائي ؛علاقة تلازمية معطائية وصلية[1]، إذ لا يمكن أن نفهم العنوان بمعزل عن النص، ولا يمكن أن نَميزَ الدلالة العامة للنص بفصلة[2] عن العنوان، فلقد رأينا في خضم تحليلنا للعنوان أن الدلالة الشاملة له كانت تراجيدية، كما النص الروائي الذي انطبع في عمومه بطابع تراجيدي، ولقد تسنى لنا معرفة إيديولوجية الكاتب من خلال استقرائنا للنص الذي كان فكرا **واقعيا نقديا مأسويا الذي** تشاكل مع الدلالة المأساوية للعنوان.

إن شخصية الشاعر، عالم الاجتماع، المفكر، الباحث عن الحقيقة والساخط على السلطة وكل ما يدور في فلكها، هي نفسها شخصية الكاتب الطاهر وطار، الساخرة، الساخطة واليائسة من المجتمع، وشخصية الشاعر والكاتب تمثل فئة النخبة التي تصطدم دوما بجدار اللامبالاة والإهمال من قبل السلطة والمجتمع، الأمر الذي يولد لهذه الفئة صراعا داخليا وإحساسا بالإحباط والضياع .

قائمة المراجع:

- الطاهر وطار :" الشمعة والدهاليز"، موفم للنشر، الجزائر، 2004.

-بن مالك رشيد "البنية السردية في النظرية السيميائية "، دار الحكمة، الجزائر، د.ط. 2001.

-حلمي محمد القاعود، "النقد الأدبي الحديث"(بدايته وتطوره)، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2006

_ فتيحة حسيني، "التناص في رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار"، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة- مذكرة ماجستير، السنة الجامعية 2001-2002.

شوقي العنيزي :" شعرية الأليغوريا " (أو لعبة الوجه والقفا في الشعر العربي الحديث) www.saadiyousif.com

_ Joseph Courtés, Analyse Sémiotique du Discours (de l'énoncé à l'énonciation), Ed, Hachette, paris, 1991.

---

[1] بن مالك رشيد :" البنية السردية في النظرية السيميائية "، دار الحكمة، الجزائر، د.ط.2001، ص 11. وينظر كذلك Joseph Courtés, Analyse Sémiotique du Discours (de l'énoncé à l'énonciation), Ed, Hachette, paris, 1991.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.